الحياة العلمية في عصر الدولة الأُموية بالأندلس
عهد الأمير عبد الرحمن الثاني أنموذجاً
(206-238هـ/ 822-852م)

إعداد: د. فتحية محمد خير الوداني
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة مصراتة
f.elweddani@art.misuratau.edu.ly

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى التعرف على التطورات الثقافية والفنية والعلمية التي شهدتها الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، وتوضيح دوره في الحياة الثقافية، وما مدى تأثير الثقافة على جوانب حياة المسلمين بالأندلس، وفهم مدى التقدّم والتنوع فيها، وكيف كانت الأندلس في عهده مكانًا للتعايش بين مختلف الثقافات والأديان، وذلك للوقوف على إنجازاته الثقافية التي أسهمت في تطور الأندلس، وجعلها مركزًا للعلم والفن في ذلك العهد.

أمَّا إشكالية الدراسة فقد عاشت الدولة الأموية في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني أزهى عهودها، حتى عُرف عهده بالعهد الذهبي في مختلف جوانبه، بما في ذلك الحياة الثقافية، فكيف كانت الحياة الثقافية في الأندلس في عهده؟ وللإحاطة بحيثيات الإشكالية لابدَّ من الإجابة عن عدة تساؤلات: من هو عبد الرحمن الثاني؟ وماهي العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية؟ وما هي أبرز المراكز العلمية وما دورها الثقافي ومظاهرها الفكرية؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات ستتبع الدراسة المنهج التاريخي السردي، من خلال تتبع سرد الأحداث التاريخية من مصادرها ومراجعها العلمية، والاستعانة بالمنهج التحليلي كلما تطلَّب الأمر ذلك، للوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوَّة من هذه الدراسة.

واستنادًا إلى ذلك تمَّ التوصّل إلى نتائج أهمها: ظهور ملامح حضارة جديدة، حملها الفاتحون من العرب والبربر لبيئة أوروبية قوطية، عملوا من خلالها على نشر الإسلام واللغة العربية، ودعم العلم وتشجيع الأدب، فاستطاعوا أنْ يبذروا في الأندلس بذور الثقافة العربية الإسلامية، التي انتعشت ونمت وآتت أُكلها في عصر الدولة الأموية بالأندلس، لتصل ذروتها في عهد عبد الرحمن الثاني (الأوسط).

الكلمات المفتاحية: *عبد الرحمن الثاني – الحياة الثقافية – الدولة الأموية بالأندلس*

المقدمة

حكم المسلمون الأندلس أكثر من ثمانية قرون، والتي استمرت منذ دخول المسلمين إليها من سنة (91هـ/ 710م) حتى سنة (897هـ/ 1492م)، أي ما يقرب 875 عاماً، لتمثِّل صورة رائعة من صور سلسلة الفتوحات الإسلامية، لبناء دولة عربية إسلامية وحضارة يفتخر بها المسلمون، وقد قُسمت هذه الفترة لعدة عصور، وتعدُّ فترة حكم الدولة الأموية في الأندلس من أهم فترات الخلافة الإسلامية، حيث

تمتعت تلك الفترة بالاستقرار والازدهار، مما أسهم في طول فترة حكمهم، ليشمل عصرين: عصر الإمارة، وعصر الخلافة (138-422هـ/ 755- 1031م).

شهد عصر الإمارة (138- 300هـ/ 755- 912م) في الدولة الأموية ازدهارًا ملحوظًا في شتى المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، لاسيما في عهد أميرها عبد الرحمن الثاني (206 - 238هـ/ 822-852م)، مما جعل بعض المؤرخين يطلقون عليه (العصر الذهبي) للإمارة، حيث توفرت له الأسباب لجعل الأندلس حضارة متطورة بعد أنْ سبقه الأمراء، وبخاصة أبوه الحكم بن هشام (الحكم الأول) (180- 206هـ/ 796- 822م)، الذي عمل على توفير الظروف الملائمة لاستقرار البلاد سياسيًّا، فساهم في ازدهارها اقتصاديًّا، لتنعم برخاء وانتعاش اجتماعيٍّ، كل ذلك انعكس على عهد عبد الرحمن الثاني، لينفرد في حكمه باتباع سياسة متميزة عن الذين سبقوه، بانفتاحه على العالم الخارجي سواء دول الجوار من ناحية، وتكوين علاقات وتبادل وصلات وثيقة معهم، وكذلك التقارب بالمشرق الإسلامي من ناحية أخرى، ما جعل حضارته مختلطة متجانسة، انعكست على حياة المجتمع بالأندلس خاصة في الحياة الثقافية والمظاهر الفكرية والفنية لأكثر من ثلاثين عاماً.

أولاً/ عبد الرحمن الثاني "اسمه، نشأته، توليه الإمارة":

1- اسمه وكنيته ولقبه:

هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرّضا بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان (ابن الآبار، 1985م، 113/1)، يكنى: عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (بأبي المُطُرِّف) (طقوش، 2010م، ص201)، أما لقبه فلقد تلقب بعدة ألقاب منها: **الأوسط:** لتوسطه في سلسة حكام بني أمية بن عبد الرحمن الأول "الداخل" وعبد الرحمن الثالث "خليفة الناصر" (نعنعي، 1986م، ص205)، و**الثاني:** لأنه ثاني ثلاثة أمراء حملوا هذا الاسم، وتولوا إمارة الأندلس (شبارو، د.ت، ص185)، وإن يكن من الأفضل أنْ يُعرف بعبد الرحمن الثاني لأنَّ أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس الذي سُموا بعبد الرحمن كانوا في الواقع أكثر من ثلاثة (الصوفي، 1980م، 170/2).

2-: مولده ونشأته:

ولد الأمير عبد الرحمن الثاني بطليطلة في شعبان سنة 176هـ / 792م (سالم، 1961م، ص 228)، وأمُّه تُدعى حلاوة، وقد وُصِف بأنه طويل، أسمر، أقني، أعين أشم أكحل، عظيم اللحية يخصر الحناء والكتم (ابن عذاري، 1983م، 81/2)، واكتسب عبد الرحمن كثيراً من صفات أبيه وجده، فكان وسطًا بين العنف واللين.

وقد أثرت نشأته وتربيته الأولية في تشكيل شخصيته، حيث كان رجلاً متعلمًا ومثقفًا، ومتمكنًا في علوم الشريعة، حفظ القرآن الكريم بالروايات السبع، وكان يَعرف أكثر من ثلاثة آلاف حديثٍ عن النبي -صلى

الله عليه وسلم-، و كان ملمًّا بالتعديل ومتخصصًا في علوم الفلك والفلسفة، (مؤلف مجهول، 1983م، 137/1؛ سالم، 1985م، ص 360)، كما كان شاعراً أدبياً ذا همَّة عالية، فناناً يقدر الفن ويرفع منزلة أصحابه، كريماً متسامحاً، محباً للنساء والشعراء والأدباء، له حظ من الأدب والفقه، وحفظ القرآن الكريم ورواية الحديث، إضافة إلى ذلك عُرف عنه حرصه على صلة الرحم وحثه على القرابة (مؤلف مجهول، د.ت، ص 135).

كان عبد الرحمن محبًّا للعلوم الفلسفية، ومشجعاً للعلم والعلماء، ويرجع حبه للفنون والآداب لعناية والده الحكم به منذ صغره، فقد علمه الأدب والحديث والفقه، لذا سعى عبد الرحمن الثاني لمحاكاة بغداد في عظمتها العلمية والأدبية (سالم، 1985م، ص 360)؛ فاحتضن العلماء ورجال الفن والأدباء الذين ضاق الشرق بمواهبهم، فرحَّب بهم في بلاطه، وأحسن إليهم وأكرمهم، حتى قيل عن أيامه (أيام العروس)؛ فقد "كانت أيامه على طولها أيام سكون وأمن وعافية وطمأنينة واستقامة من الرعية،...، فكانت أيامه أطيب الأيام وأسرها، كادت أنْ تكونَ كلها أعيادًا بخصبها وكثرة خيراتها ودعتها وأمنها" (ابن سعيد، 1964م، 46/1؛ مؤلف مجهول، 1983م، 139/1).

3- تولّيه الإمارة:

تولى عبد الرحمن الثاني الإمارة بعد وفاة والده الحكم بن هشام، وذلك في ذي الحجة سنة ستٍّ ومئتين (ابن عبد ربه، 1953م، 218/5)، وكان عمرُهُ ثلاثين سنة حين توليه الإمارة (شبارو، د.ت، ص 125)، وذكر ذلك ابن الآبار بقوله: ولي الأمير عبد الرحمن بن الحكم يوم الخميس لثلاثٍ بقين من ذي الحجة سنة ست ومئتين، وكانت إمارتُهُ إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام، "وهو الذي استكمل فخامة الملك في الأندلس، وكسا الخلافة أبهة الجلالة" (ابن الآبار، 1985م، 113/1).

بُويع له بالإمارة في حياة أبيه، عندما استدعاه أبوه الحكم قبيل وفاته، وأخذ البيعة له، ثمَّ أوصاه بأنْ يحفظ أهله وعشيرته، وأنْ يثق فيهم ويأخذ برأيهم، وأنْ يعدل بين الرعية، فيحسن إلى المحسن ويعاقب المسيء، وأنْ يضع كل رجل في مكانه المناسب، بغضِّ النظر عن مستواه الاجتماعي، كما أوصاه بأنْ يتبعها، وأن لا يحيد عنها في أي حال (ابن عذاري، 1983م، 77/2)، ويبدو من هذه الوصية أنَّ الحكم حاول أنْ يرسم لابنه السياسة الداخلية التي عليه أنْ يتبعها ليضمن اتفاق رعيته بما يمكنه من مجابهة ما قد يتعرض له من أخطار داخلية وخارجية.

بعد وفاة والده، انتقل عبد الرحمن إلى قصره في قرطبة، (عنان، 1997م، ص 18)، حيث بايعه الناس، بعد أن انعقدت البيعة يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة، وبويع له ذلك اليوم في القصر (ابن عذاري، 1983م، 77/2)، وقد ألقى الأمير عبد الرحمن كلمة قصيرة في بداية خطبته، حيث أوضح للحاضرين نهجه العام في الحكم، وأكد أنه سيسعى لإصلاح أوضاعهم، وأنه سيدير شؤونهم

بالعدل، قال: "الحمد لله الذي جعل الموت حتمًا من قضائه وعزمًا من أمره، وأجرى الأمور على مشيئته. فاستأثر بالملكوت والبقاء، وأذلَّ خلقه بالفناء، تبارك اسمه وتعالى جده، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليمًا"، وأشار إلى أنَّ مصاب الإمام – رحمه الله – كان وسيلة لتذكيرهم بأهمية الصبر والرضا بقضاء الله، وأخيرًا أكد أنه سيوفِّق في تحقيق صلاح أحوالهم، وأنه لن يخالف عهدهم، بل سيزيدهم بالخير إن شاء الله" (ابن عذاري، 1983م، 2/90– 91)، وتدل هذه العبارة الأخيرة من كلمة عبد الرحمن الثاني التأبينيَّة على أنه سيحفظ فيهم عهده لأبيه الذي أوصاه بالحكمة والعدل بين الرعية، والحرص على الرفق بهم، بل أنه سيزيد على ذلك، ليؤمِّن لهم العزة والعيش الكريم.

4– وفاته:

قبل موته بمدة ثلاثة أعوام أو نحوها احتجب الأمير عبد الرحمن بن الحكم عن الناس، من أجل علة أصابته، طالت به واشتدَّت عليه (ابن حيان، 1994م، ص158)، حتى كانت وفاته ليلة الخميس الموافق 3 ربيع الآخر 238هـ/852م، عن عمر يناهز الاثنين والستين عاماً (طقوش، 2010م، ص 234)، أمضى نصفها تقريبًا في ولايته على الأندلس، تاركًا إمارة زاهرة موطَّدة الأركان لابنه الأمير محمد تنعم بالاستقرار والهدوء، وانتهت بوفاته مرحلة مهمة من مراحل تاريخ المسلمين في الأندلس، حافلة بالإنجازات السياسية والحضارية والإنسانية، فازدهرت البلاد وتمتع السكان بمرحلة طويلة من الأمن والسلام، مما أضفى المزيد من البعد الحضاري والإنساني بالاتصال بالحضارة العباسية في المشرق، واحتلت الدولة مكانة رفيعة في تلك المرحلة المتقدمة من العصور الوسطى بين الدول الإسلامية "والمعروف أنها احتفظت بهذه المكانة حتى السقوط بيد الإسبان (طقوش، 2010م، ص234).

ثانيًا/ العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية: توجد عديد العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية، من أهمها: العامل السياسي، والعامل الاقتصادي، والعامل الاجتماعي.

1– العامل السياسي:

تولى عبد الرحمن الثاني إمارة الأندلس، وقد عاشت في عهده ذروة عصرها الذهبي (شبارو، د.ت، ص125)، فقد حرص الأمير على نشر العدل والمساواة بين فئات المجتمع الأندلسي، وتميز عهده بالرخاء والازدهار الاقتصادي، والتقدم الحضاري، إلا أنَّ ذلك لم يحدث دون وجود بعض الثورات والفتن الداخلية، التي كان بعضها لأسباب مزمنة متأصِّلة في النفوس، كالصراع بين القيسية واليمنية، بينما كان بعضُها الآخر نابعاً من القسوة في تحصيل الضرائب الإضافية، أو لأسباب شخصية بحتة دفعت بعض الطامعين في الثروات للقيام بأعمال السلب والنهب، أو لأسباب دينية أو عرقية، كما حدث في فتنة المستعربين، وفتنة ماردة.

ولعل من أهم هذه الثورات والفتن التي قامت في عهده واستطاع التغلب عليها –على سبيل المثال لا الحصر– هي:

ثورة عبد الله "البلنسي" الذي كان يسمى "الثائر التقليدي" 207هـ/ 823م (بيضون، 1980م، ص247)، وفتنة جند إلبيرة – التي كان يقطنها جند دمشق من العرب (الحميري، 1975م، ص28)، في قرطبة (الصوفي، 1980م، 174/2)، والصراع بين القيسية واليمنية (207–213هـ/ 823– 829م)، وفتنة الثغر الأدنى "ماردة" التي تقع في جوف قرطبة منحرفة للمغرب، وهي مسكن الملوك والأشراف (الحميري، 1975م، ص518)، في 211هـ/ 826م في منطقة الجزيرة الخضراء بقيادة حبيب البرنسي (طقوش، 2010م، ص205)، وثورة المولدين في طليطلة، التي تعدُّ دار الملك بالأندلس سنة (214 – 222هـ / 837/829م) (الحميري، 1975م، ص393)، وفتنة المستعربين (شبارو، د.ت، ص129)، في قرطبة سنة (235 – 244هـ/ 850م – 859م)؛ فالمستعربون هم سكان البلاد الأصليون الذين احتفظوا بدينهم واختلطوا بالعرب وتكلموا اللغة العربية، إلى جانب لغتهم الرومانية Romancea وهي لهجة عامية مشتقة من اللاتينية.

وصل بعض المستعربين إلى مناصب رفيعة في الجيش والإدارة، وتفوَّق بعضهم على العرب في الشعر والفكر، واشتُهروا باسم المستعربين أو المستعربات، ومع مرور الوقت، تناقص عددهم تدريجيًّا مع اعتناق العديد منهم للإسلام، حيث أصبحوا يُعرفون بـ(المسالمة)، (العبادي، د.ت، ص155)، وعلى الرغم من معاملة المسلمين الحسنة للمستعربين إلا أنَّ بعضهم لم يكن راضيًا عن الحكم الإسلامي، وتمثل عدم الرضا هذا في ظهور ما أطلق عليه المؤرخون الإسبان (حركة الاستشهاد)، في حين أطلق عليها المؤرخون المسلمون (حركة الاستهزاء)، وهي حركة تزعمها راهب إسباني يدعى أولوخير وأليرو من عائلة نصرانية عريقة نسبها، مقدمة في مكانتها، قاموا بتحريض الناس على شتم الرسول –صلى الله عليه وسلم–، والدين الإسلامي، لإثارة المسلمين من أجل أنْ يحكموا عليهم بالإعدام، وبذلك ينالون جنات النعيم ورضا الله عنهم كما يعتقدون، إنَّ حركة الاستشهاد اتخذت شكلاً دينيًّا، ومع ذلك، كان لديها أبعاد سياسية وقومية ووطنية، تمسُّ مسألة الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية من جذورها، (نعنعي، 1986م، ص234).

من السابق ذكره، يظهر أنَّ هناك ثوراتٍ وفتنًا اندلعت ضد الأمير عبد الرحمن الثاني في الداخل والخارج، قادة هذه الثورات كانوا من مختلف شرائح المجتمع الأندلسي في عهده، ومع ذلك، نجح الأميرُ في التعامل مع هذه الأحداث بفعالية، تنوعت استراتيجيته بين القوة والتسامح، حيث خاض المعارك بنفسه، وقاد الجموع في بعض الأحيان، وتعامل بالتسامح والمرونة في أوقات أخرى، فبعد النصر، لم يفسد العلاقة مع المهزومين، بل تصالح مع بعضهم وأقرَّ بحقوقهم وامتيازاتهم السياسية، هذا النهج أضفى استقرارًا وأمانًا

على الأراضي التي حكمها، وأثر على الجوانب الحياتية الأخرى، بما في ذلك الاقتصاد والمجتمع والثقافة، ستتضح هذه النقاط بشكل أوضح من خلال البحث، وخاصة فيما يتعلق بالحياة الثقافية.

2- العامل الاقتصادي:

عرفت الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني ازدهاراً اقتصادياً ذا شأن، فتقدمت الزراعة والصناعة والتجارة، وانعكس ذلك بوضوح على العمران والتطور العلمي.

ومن أهم جوانب الحياة الاقتصادية:

أ- **الزراعة:** الأندلس بلد زراعي قبل كل شيء، وكان الخراج والجزية والأخماس هي المصادر الرئيسة لخزينة الدولة، فقد عُرفت الأندلس بالغنى وخصوبة الأرض ووفرة الموارد الاقتصادية، وتشجيع الأمراء على الزراعة، وكثرة العيون والأنهار والآبار (طه، 2000م، ص455؛ دويدار، 1994م، ص365، 367)، ومن المؤكد أنَّ هذا الاستقرار النسبي، وتوفر الأمن، قد هيأ الظروف للازدهار الاقتصادي، الذي انعكست آثاره على الحياة الثقافية.

ب- **الصناعة:** لقد أدى الازدهار الزراعي، وتوفر المواد الخام المحلية، إلى نشاط صناعي متنوع في الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، ومن مظاهر هذا النشاط صناعة الأقمشة وصناعة الملابس واستخدام السفن، ومن الصناعات المهمة التي نشأت في الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني صناعة الزجاج من الحجارة التي استنبطها عباس بن فرناس، وعمل الميقاتة لمعرفة الأوقات (ابن سعيد، 1964م، 333/1؛ الحجي، 1981م، ص286)، كما تقدمت صناعة الكتابة وما يتصل بها من أقلام وشمع وغيرها من أدوات الكتابة، إلى جانب صناعة الورق، (دويدار، 1994م، ص356).

جـ- التجارة: أظهر الأمير عبد الرحمن الأوسط، اهتمامًا كبيرًا بالحضارة المادية والعمرانية والاقتصادية، فتطورت حركة التجارة بشكل ملحوظ في تلك الفترة، مما أدى إلى زيادة الأموال والثروات، (ابن عذاري، 1983م، 91/1؛ المقري، 1998م، 347/1؛ السرجاني، 2011م، 175/1)، وقد تطلب ذلك إعادة تنظيم النقد الأندلسي، لذا أمر بإنشاء دارٍ لسك العملة، يقوم بإدارتها رجل من الثقاة، يتولى إصدار ومراقبة النقود الفضية والبرونزية والذهبية أيضًا، حيث أصبح الناسُ يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل الريف.

وقد أدى تطور الزراعة، وتوفر المنتجات الزراعية في بعض المدن بما يزيد عن حاجتها، وكذلك تقدم الصناعة، نتج عنه ازدهار التجارة الداخلية والخارجية، وقد ساعد ذلك أنَّ الأمير عبد الرحمن الثاني اهتمَّ بقضايا الأمن الداخلي؛ فعمل على إضافة مناصب جديدة ذات اهتمامات وصلاحيات مجددة ومتخصصة، نظرًا لاتساع قرطبة وأرباضها، فعلى الرغم من وجود موظف "صاحب السوق" الذي كانت صلاحياته تشمل جميع شؤون قرطبة الأمنية والبلدية، ولكن الأمير عبد الرحمن خصَّ عمله في مراقبة

الأسواق والتجار والاهتمام بقضايا الغش والمكاييل والموازين... وغيرها، وأقام نظامًا مستقلًّا للأمن يرأسه موظفان يُدعى الواحد منهما "صاحب الشرطة" تتبعهما قوى الأمن الداخلي، بالإضافة إلى منصب "صاحب المدينة"، للاهتمام بالأمور البلدية (نعنعي، 1986م، ص243- 244).

وقد كان من عوامل نشاط التجارة في الأندلس، إنشاء دار لسكِّ العملة أو النقود في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، حيث يذكر أنه ضرب الدراهم باسمه لأول مرة منذ دخول المسلمين للأندلس؛ ليكون أول من ضرب نقودًا أندلسية مستقلة ثابتة، ومن عوامل نشاط التجارة في الأندلس أيضًا، الاهتمام بإنشاء المؤسسات ذات الصفة الاقتصادية التي ارتبطت بالنشاط التجاري، وتمثلت في الخانات والوكالات والفنادق والقياصر، التي وجد فيها التجار القادمون إلى الأندلس مخازن لبضائعهم ومقرًّا لنزولهم، كما قام أيضاً بإنشاء (دار للطراز) بالأندلس، لتوفير حاجات قصور الأمير ودور الحكم ومنازل الأثرياء من الستائر والأقمشة الفخمة (دويدار، 1994م، ص264- 265)، والطراز كما قال ابن خلدون: "علامات يرسمها سلاطين والملوك في طراز أثوابهم المعدَّة للبسهم من الحرير أو الديباج أو الإبرسيم، وتعتبر كتابة خطها في نسج الثوب من الخيوط وسدى بخيوط الذهب، أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناع في تقديرهم ذلك، ووضعه في صناعة نسجهم. فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز، قصد التنويه بلباسها من السلطان ..." (ابن خلدون، 1998م، ص251).

ومما لا شك فيه أنَّ التقدم الزراعي والصناعي والتجاري في الأندلس قد أدى إلى زيادة موارد الدولة، وقد بلغت تلك الموارد من أموال الجباية وحدها ألف ألف دينار في السنة، في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، بينما لم تتجاوز ستمائة ألف دينار فقط في عهود من سبقوه (المقري، 1998م، 273/1)، كل ذلك كان من الطبيعي أنْ ينعكس على الحياة الاجتماعية لسكان الأندلس.

3- العامل الاجتماعي:

أثرت عدة عوامل في تطور الحياة الاجتماعية في الأندلس، ومن بين هذه العوامل، سياسة الانفتاح على المشرق الإسلامي التي اتخذها الأمير عبد الرحمن الثاني، وتبع ذلك اقتباس في مختلف النظم السياسية والاقتصادية والمظاهر الثقافية، كما أسهم الهدوء والاستقرار الذي عاشته الأندلس خلال تلك الفترة في تعزيز التطور الاجتماعي، ولاحظنا تعدد الجماعات والحضارات بتعدد فئات السكان، حيث ضمَّت الأندلس مع العرب الفاتحين البلديين والعرب الوافدين (الداخلين)، إلى جانب جماعة من الإسبان المسالمة الذين اعتنقوا الإسلام، كما وجدنا العجم الذميين أو المستعربين، الذين بقوا على دينهم في ظلِّ الحكم الإسلامي، ولم يكن التنوع يقتصر على العرب والإسبان فقط، بل شمل أيضًا طائفة المولدين، الذين نشأوا نتيجة التزاوج بين رجال العرب ونساء الإسبان، ولا ننسى البربر الذين دخلوا مع طارق بن زياد، أو الذين هاجروا من بلاد المغرب، سواء بحثًا عن المغانم أو سعيًا للحصول على الاستقرار، وكانت اليهود

أيضًا جزءًا من هذا التنوع الثقافي والديني في الأندلس، (سالم، 1961م، ص119)، فسياسة الانفتاح على المشرق جعلت الطريق مفتوحًا أمام التجار بين المشرق والأندلس وبالعكس، وقد جلب التجار إلى الأندلس صنوفًا من الألبسة والأقمشة وغيرها من البضائع الأخرى (ابن عذاري، 1983م، 91/2).

كما أضفت هجرةُ الكثيرين من العلماء والفنانين والجواري على الأندلس ألواناً جديدة من الحياة، لم تكن مألوفة لدى أهلها من قبل، إذ أخذ الناس يهتمون بالتعليم والفنون والموسيقى وغير ذلك، وقد كان من أبرز القادمين إلى الأندلس المغني زرياب الذي أحدث تغييرات كبيرة في نواحي الحياة الاجتماعية المختلفة، فمن هو؟

زرياب: كان يُدعى علي بن نافع ويُكنى بأبي الحسن، يُقال عنه إنه كان أميرًا للغناء والطرب في المشرق والمغرب، عاش القسم الأول من حياته في بغداد، حيث كان مولىً للخليفة العباسي المهدي، ثم انتقل إلى كنف الخليفة الرشيد قبل أنْ يرحل نهائيًّا إلى الأندلس، غَلب عليه لقب "زرياب" بسبب سواد لونه وفصاحة لسانه وحلاوة شمائله، كان يُشبه بطائر أسود غرد، أثّر في المجتمع الأندلسي تأثيرًا كبيرًا، حيث طوّر العادات والتقاليد واللباس والطعام، وانتشرت أساليبه الأنيقة في ترتيب المائدة وإعداد الطعام وتنويعه، كان مبتكرًا في أصناف الطعام وصاحب مدرسة في ترتيب البيت والأثاث، فضّل استخدام آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب، وكان يُفضل سفر الأديم لتقديم الطعام على الموائد الخشبية، (المقري، 1998م، 381/3–391؛ الصوفي، 1980م، 221/2؛ نعنعي، 1986م، ص247– 248).

كان لزرياب منهجًا خاصًّا في الملبس يعتمد على الترف والتنوع، وقد أشاعه بين الأندلسيين؛ فعلَّمهم كيفية ارتداء الملابس القطنية والحريرية في فصل الصيف، وصبغها بالألوان الزاهية، كما ترك لبس الملابس الصوفية والغامقة الألوان، وتميز أيضًا بطريقة خاصة في تصفيف شعره، اعتمدها هو وأولاده وزوجاته، (نعنعي، 1986م، ص248)، "فلمَّا عاين ذوو التحصيل تحديقه هو وولده ونساؤه لشعوره، وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها إلى آذانهم وإسدالها إلى أصداغهم...هوت إليه أفئدتهم، واستحسنوه" (المقري، 1998م، 386/3)، وبذلك طهَّر زرياب مجتمع أهل الأندلس من رواسب البداوة والخشونة في أساليب حياتهم، ودرَّبهم على أساليب الترف والأناقة (نعنعي، 1986م، ص248)، واستطاع زرياب أنْ يؤثر تأثيرًا كبيرًا في الحياة الاجتماعية في الأندلس، فقد أحدث ثورة اجتماعية شملت طرق تناول الطعام واللباس والاهتمام بالفنون المختلفة، وخاصة الموسيقى والغناء.

ثالثًا/ المراكز العلمية "المساجد والقصور والدور"

1-: المساجد:

اهتمَّ الأمير عبد الرحمن الثاني بإنشاء المساجد في الأندلس، وعمل على توسيعها وتفعيل دورها في المجتمع الإسلامي، فلم يكن دور المساجد مقتصرًا على العبادة فحسب، بل تجاوز ذلك إلى الدور

التربوي في تأهيل أجيال مؤمنة متعلمة، كانت المساجد هي المدارس الأولى التي تلقَّى فيها الأندلسيون تعليمهم، مشابهة للوضع في بلاد المشرق قبل نشأة المدارس الرسمية، ولذلك كانت معظم مساجد الأندلس، خاصة في المدن الكبرى مثل قرطبة (العاصمة)، وطليطلة، وإشبيلية، وبلنسية، وجيان، تعتبر مراكز علمية زاخرة بحلقات العلم، حيث كانت تُقام فيها الحلقات العلمية، التي درس فيها معظم العلماء، وتخرج منها العلماء في شتى فنون المعرفة، لذا لا يمكن التغاضي عن أهمية دور المساجد في نشر الثقافة الإسلامية وتعزيز المعرفة في الأندلس، (التليسي، 2003م، ص386)، وللأمير عبد الرحمن ولعٌ خاصٌّ ببنائها، وأشهر هذه المساجد:

أ- مسجد قرطبة:

يعد المسجد الجامع بقرطبة من أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط (دويدار، 1994م، ص254)، وقد بدأ بناء هذا المسجد الأمير عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) (ابن الآبار، 1985م، 35/1).

عندما تولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الإمارة بعد وفاة أبيه الحكم بن هشام، رفع من شأن قرطبة وجعلها عاصمة تليق بالإمارة في عهده، فقد تكاثر الناس في قرطبة وتوافدوا إليها من كلِّ حدب وصوب، حتى ضاق عنهم بيت الصلاة في المسجد، وكانت بلاطات المسجد التي بناها عبد الرحمن الداخل تسعًا فقط، لذا قام عبد الرحمن الأوسط بتوسيع المسجد والإضافة إلى حافَّتيهِ من الشرق والغرب بلاطين زائدين على البنية الأصلية، ففي سنة 218 هـ/ 833م أصبح عدد بلاطات المسجد أحد عشر بلاطة، واتسع به المسجد ورفع عن حاضريه، كما زاد أيضًا في السقائف وفي بيت الصلاة، مما جعله أكبر جامعة إسلامية يتمُّ فيها تدريس العلوم الدينية واللغوية، جاء طلاب المسلمين والعجم إلى هذا المسجد للدراسة والتحصيل، لذلك اشتهرت مدينة قرطبة بمسجدها الجامع، وأصبح هذا المسجد من أعظم المنشآت العمرانية من حيث الفن والروعة والإبهار، (سالم، 1961م، ص387- 389).

ب- جامع أشبيلية:

أُنشئ في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، حين أمر قاضيه عمر بن عدبس بتشييده سنة 214هـ/830م، وتسمى نسبة إلى المدينة، ووُصف "بأنه جاء عملاً رائعاً وشهيراً" (دويدار، 1994م، ص218)، ولكنه لم يكمله على ما أراد له.

وجاء مسجد أشبيلية "من عجيب البنيان وجليله وصومعته بديعة الصناعة، غريبة العمل" (الحميري، 1975م، ص59)، يؤكد ذلك اهتمام الأمير بالدقة والإتقان في بنائه، ولما كان كثير الميل للنساء، شجع جواريه المقرَّبات منه على بناء المساجد من أموالهن الخاصة، مرضاةً لوجه الله، وكان هناك "مسجد الشفاء"، "مسجد الفجر"، و"مسجد طروب" (نعنعي، 1986م، ص249- 250).

كما شاركت بعضُ النساء في مجال الحركة العلمية، حيث كان في الربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي، وكان هناك بعض النساء اللاتي تعلمن وتفقهن في الدين ودرسن الأدب (سالم، 1961م، ص283).

لم تكن بالأندلس على عهد عبد الرحمن الثاني مدارس تساعد على طلب العلم، كما كان الحال في المشرق، بل كان الطلبة يقرؤون ويدرسون في المساجد، ولم تظهر المدارس في الأندلس إلا في عصر دولة بني الأحمر (دويدار، 1994م، ص230)، وأكَّد ذلك المقري في كتابه نفح الطيب قائلاً: "فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة" (المقري، 1998م، 222/3).

2-: القصور والأدوار:

كان للأمير عبد الرحمن الثاني اهتمامات خاصة بالبناء والعمران، فعمل على بناء القصور، وتجديد القائم منها، فاستطالة عهده، ووفرة مداخيل خزينته، سمح له بأنْ يقيم في الأندلس مالا حصر له من الأبنية والقصور والمنشآت العامة (نعنعي، 1986م، ص249).

ويُعدُّ عهد الأمير عبد الرحمن الثاني ذروة عصر الإمارة في الأندلس إذ أنه: "أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة وكسى الخلافة أبهة الجلالة، فشيد القصور وجلب إليها المياه، وبنى الرصيف وعمل عليه السقائف، وبنى المساجد الجوامع بالأندلس، وعمل السقاية على الرصيف، وأحدث الطرز واستنبط عملها، واتخذ السكة بقرطبة، وفخم ملكه" (ابن عذاري، 1983م، 91/2).

وهذا ما جعل المؤرخ الأندلسي ابن الخطيب يصف عهده بقوله: "وفي أيامه احتفلت دولة بني أميه بالأندلس، وعظمت الألقاب، وشيدت القصور، وجلبت إليها المياه، وجلبت إليه من المشرق،... وفي أيامه، اتخذ الطراز الذي كان حديث الرفاق، وطرفة أهل الآفاق" (ابن الخطيب، 1956م، ص20).

رابعًا/ المظاهر الفكرية "أشهر العلوم والعلماء":

خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، مرت الأندلس الإسلامية بمرحلة انتقالية ذات أهمية كبيرة في تاريخها، كانت هذه الفترة مليئة بالاستقرار والإنشاء والتجديد في جميع جوانب حياتها المختلفة، حكم في تلك الفترة الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، وكان يُعرف بأنه رجل هادئ الطبع يميل إلى اللين، محب للعلم والعلماء، فتحتَ إشرافِهِ بدأت طلائع الحضارة الأندلسية تظهر في الأندلس، حيث ظهرت ملامح حضارة جديدة، حملها معهم القادمون من مدن المشرق الإسلامي، بما فيها من مصنَّفات، فقد كان مبادرًا في إقامة الصلة مع بغداد بني العباس، حين انتدب الشاعر عباس بن ناصح الجزيري ليسافر للعراق، ليجلب له بعض النفائس موضوعة أو مترجمة، فكان من بين ما حمله إليه كتاب (السند والهند) وهو من أقدم كتب الحساب والأعداد، وبهذه الطريق بدأت تصل إلى بلاد الأندلس

ترجمات علماء بغداد لتراث المشارقة (نعنعي، 1986، ص244- 245)، كما أثّرت في الأندلس رياح الحضارة الشامية أولًا، ثم الحجازية المدنية ثانيًا، وعلى الرغم من ضعفها، هبت على إسبانيا نسائم حضارة أوروبية، أصبحت الأندلس في تلك الفترة مركزًا للنهضة الحضارية، ويمكن أنْ نسمِّيها بطلائع نهضة حضارية أندلسية، (نعنعي، 1986م، ص239- 240).

ظهرت تباشيرُ هذه الحضارة العربية لغة وتقاليدًا، وقد أسهم ما كان يقدمه الأمير عبد الرحمن الثاني من تشجيع للعلماء في مختلف المجالات، كالعلوم والفنون والآداب، في دفع أعداد كبيرة من رجالات الشعر والأدب والفن بأنْ يأتوا من المشرق الإسلامي إلى الأندلس، للإسهام في بناء الحضارة الجديدة، والإفادة منها أيضًا، وما تردد الأمير عبد الرحمن لحظة في القبول والترحيب بالوافدين من العراق موطن بني العباس، فعبد الرحمن الأوسط لم يكن كأسلافه يخشى بني العباس ليغلق أبوب الأندلس أمام الرياح الحضارية الآتية من بلادهم، فما كان يمتلكه من علم وثقافة جعله مقدِّرا لهذه الحضارة، راغباً في الاستفادة منها، وإفادة شعبه من ثمارها (نعنعي، 1986م، ص241)، ولعل أشهر العلوم التي لقيت اهتمام الأندلسيين هي:

1- العلوم الدينية وعلوم اللغة:

بدأت العلوم الإسلامية في الأندلس عندما دخل بعضُ الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم- مع موسى بن نصير، كان هؤلاء الصحابة والتابعون نواةً للعلوم الدينية في الأندلس، وبعد ذلك جاءت طائفة من العلماء الأندلسيين الراحلين إلى المشرق بحثًا عن العلم والمعرفة، استجابةً لمتطلبات المجتمع الجديد، وأصبح ذلك المجتمع يقوم ببنائه على تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن الكريم، القائمة على الأصول والتشريعات الإسلامية (المشتني، 1986م، ص39).

أ- علم الحديث:

ازدهر علم الحديث بالأندلس، واشتغل به كثيرون، وما يؤكد ذلك ما ذكره ابن سعيد: "ورواية الحديث عندهم رفيعة" (دويدار، 1994م، ص406)، ومن أشهر المذاهب التي انتشرت في الأندلس، وساعدت على انتشار علم الحديث هي:

- **مذهب الأوزاعي:**

المذهب الأوزاعي كان له تأثير كبير في الأندلس، حيث انتشر بين أهلها وأثَّر في نقل علم الحديث وانتشاره، ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة في استنباط الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية، وبالتالي، كان هناك اهتمام كبير بعلم الحديث وروايته في هذا السياق (المشتني، 1986م، ص45).

- **المذهب المالكي:**

كان انتشار المذهب المالكي في الأندلس، وما حظي به من مكانة وسيادة في الدولة، جعله يصبح المذهب الرسمي لها، على يد الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، فقد مكَّن علم الحديث من الانتشار وسرعة الانتقال إلى الأندلس، ثم العناية به وبرجاله، ومن أشهر المحدثين في الأندلس الذين نبغوا في علم الحديث، وعاصروا الأمير عبد الرحمن الثاني هم:

- **بقي بن مخلد (201هـ/276):**

هو بقي بن مخلد القرطبي الأندلسي، ولد سنة 201هـ، وكنيته أبو عبدالرحمن، كان بحراً في علم التفسير والحديث، من حفَّاظ المحدِّثين، وأئمة الدين، والزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق، وتنقل بين حواضر العلم فيه، وتلقَّى العلم عن أعلامه، وعاد بثروة علمية بلغ بها شأوًا كبيرًا بين علماء عصره (الحميدي، 1966م، ص177؛ ابن الفرضي، 2008م، ص91)، شهد له بذلك أكابر العلماء، ومن أشهر ما ألف: كتابان في التفسير والحديث، كتابة في الحديث ومصنفه الكبير، الذي رتبه على أسماء الصحابة فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي ونيِّف، ثم رتَّب كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مسند ومصنف، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله بالحديث، وجودة شيوخه (الحميدي، 1966م، ص177؛ المشتني، 1986م، ص47؛ المقري، 1998م، 3/127- 129).

- **محمد بن وضاح:**

محمد بن وضاح بن بزيغ، مولى خليفة عبد الرحمن بن معاوية من أهل قرطبة، يُكنى بأبي عبد الله ولد سنة تسع وتسعين، وكان محمد بن وضاح عالماً بالحديث بصيراً بطرقه متكلماً عن علله، كثير الحكاية عن العباد، ورعاً زاهداً، فقيراً متعففاً صابراً على الإسماع، محبًّا في نشر علمه، سمع منه الناس كثيراً، ونفع الله به أهل الأندلس (ابن الفرضي2008م، ص391)، من مصنَّفاته: رسالة في السنة، وكتاب في الصلاة، وكتاب النظر إلى الله تعالى (ابن مخلوف، 1932م، ص79).

- **قاسم بن أصبغ البياني:**

قاسم بن أصبغ: يُعرف بالبياني، أخذ الحديث عن كبار المحدثين في الأندلس كبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، وكانت له رحلة إلى المشرق، لقي خلالها أئمة الحديث، وأخذ عنهم، وله كتاب في المنتقى، وغرائب حديث مالك، ومسند حديث مالك، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، وأحكام القرآن، توفي سنة 340هـ (المشتني، 1986م، ص48- 49؛ المقري، 1998م، ج2/ 215- 217).

ب- علم الفقه:

احتلَّ علمُ الفقه جانبًا مهمًّا في الحياة العلمية بالأندلس؛ لكونه يعمل على تقويم المجتمع وتنظيمه وتوثيق روابطه، وعن طريقه يستطيع المسلم معرفة أحكام الله سبحانه وتعالى، وفهم شرائعه في حياته الدينية والدنيوية (خزعل، 2004م، ص122).

كان أهلُ الأندلس منذ الفتح وحتى عصر هشام بن عبد الرحمن الداخل على مذهب الإمام الأوزاعي (دويدار، 1994م، ص410)، والأوزاعي هو: أبو عمر وعبد الرحمن بن عمر ابن يحمد الأوزاعي الفقيه (الحجي، 1981م، ص280)، وكان رجلاً عالماً ذا دين وخلق وفصاحة وكرم، وبقي هذا المذهب غالباً لمدة أربعين سنة حتى نهاية القرن الثاني الهجري زمن الأمير الأموي الثالث الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، حيث غلب مذهب الإمام مالك بن أنس –رضى الله عنه–(المشتني، 1986م، ص54)، وظهر عدة علماء في الأندلس على نهج الإمام الأوزاعي في الفقه، ثم أخذ أهلُ الأندلس يتفقهون على مذهب الإمام مالك بن أنس، كما ذكر المقري في نفح الطيب أنَّ أبا عبد الله زيد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي (ت204هـ) المعروف بـ(شبطون)، "كان فقيه الأندلس على مذهب مالك، وهو أول من أدخل مذهبه الأندلس، وكان قبله يتفقهون على مذهب الأوزاعي" (المقري، 1998م، 2/214– 215)، ومن أشهر الفقهاء الذي عاصروا الأمير عبد الرحمن الثاني على سبيل المثال لا الحصر:

- **عيسى بن دينار الغافقي الطليطلي:**

أصله من طليطلة، واستقر بقرطبة، كان عابدًا فاضلا فقيهاً، عالماً، مفتياً، ألف كتاباً في الفقه سماه "الهدية"، كتب به إلى بعض الأمراء عشرة أجزاء، وهو من الطبقة الأولى لمذهب الإمام مالك تُوفي في طليطلة سنة 212هـ (المشتني، 1986م، ص58؛ ابن الفرضي، 2008م، ص331).

- **يحيى بن يحيى الليثي (223هـ/ 847م):**

يحيى بن يحيى الليثي، الملقَّب بـ"عاقل الأندلس"، كان شخصية مهمة في ترسيخ الفقه المالكي في الأندلس، أصبح أحد أشدِّ أنصار المالكية، وكان المرجعَ الفقهي للأمير عبد الرحمن الأوسط في تعيين قضاة الأندلس (خزعل، 2004م، ص124)، حصل على لقب "عاقل الأندلس" بسبب حكمته وفهمه العميق للشؤون الدينية، بعد عيسى بن دينار؛ فهو المفتي الرسمي للأندلس، وكان له نفوذ كبير في عهد عبد الرحمن الأوسط، من مؤلفاته: "المنتقي" وكتاب "حكام الفصول في إحكام الأصول" وغيرها الكثير (دويدار، 1994م، ص412– 413؛ ابن الفرضي، 2008م، ص557– 559؛ المقري، 1998م، 2/186–188).

- **عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238هـ/ 852م):**

عبد الملك بن حبيب السلمي (توفي عام 238هـ/852م)، كان من أهل طليطلة في الأندلس، انتقل إلى قرطبة ودرس مذهب الإمام مالك، وبرع فيه حتى أصبح من كبار أنصاره، يُعزى إليه الجهد

الكبير في تحويل أهل الأندلس من مذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي. اشتهر بلقب "عالم الأندلس"، له كتاب في الفقه على مذهب الإمام مالك يُسمى "الواضحة" وقال عنه ابن الفرضي: "لم يؤلف مثلها"، كما ألف كتبًا أخرى مثل "تفسير الموطأ" و"طبقات الفقهاء والتابعين" و "الناسخ والمنسوخ" و"إعراب القرآن" (ابن الفرضي، 2008م، ص269- 272؛ المشتني، 1986م، ص59).

ولقد اجتمعت في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني جمهرة من جلّة الفقهاء، ومنهم يحيى بن معمر الإلهاني (ت218هـ/)، من العرب الشاميين، الذين استقروا في أشبيلية، كان ورعاً فاضلاً اشتهر بالفقه والفرائض، وولَّاه عبد الرحمن الأوسط قضاء الجماعة بقرطبة (ابن الفرضي، 2008م، ص556؛ دويدار، 1994م، ص413)، ومن جملة الفقهاء الذين اشتُهروا في الأندلس في ذلك العصر، أشهرهم أبو عبد الله محمد بن وضاح، وزياد بن محمد بن زياد المعروف بشبطون، وإبراهيم بن قسام بن هلال بن أبي حجاج، ومطرق بن عبد الرحمن، وعبد الأعلى بن وهب.... وغيرهم الكثير (ابن سعيد، 1964م، 1/164- 165).

ج- علم التفسير:

بدأ الاهتمام بعلم التفسير في بلاد الأندلس منذ دخول الفاتحين الأوائل إليها، وبما أنَّ الإسلام يستمد قواعده وأصوله وتشريعاته من القرآن الكريم في المقام الأول، كان من الضرورة الاهتمام بتفسير آياته لفهمها والوقوف على معانيها (ياسين، 2017م، ص76)، وكان المسجدُ هو المدرسة التي انطلق منها هذا العلم جنباً إلى جنب مع غيره من العلوم الإسلامية، وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ظهر أول عَلمٍ من أعلام المفسرين في الأندلس، وهو بقي بن مخلد (ت 276هـ)، صاحب التفسير الذي يقع في سبعين جزءًا، (ابن الفرضي (ت403هـ)، 2008م، ص91- 93).

ثانيًا/ العلوم اللغوية:

استخدم الأندلسيون المسلمون، وغير المسلمين اللغة العربية بوصفها وسيلة لنشر العلوم والمعارف، حيث أصبحت اللغة العربية في الأندلس لغة الخاصة والعامة من سكانها، وأتقنها الجميع على الرغم من وجود لغة محلية أخرى، فأظهرت اللغة العربية قوتها في التعبير وأصبحت لغة التواصل، واهتم الأندلسيون باللغة العربية وعلومها لفهم القرآن الكريم والحديث الشريف، ولفهم الأمور الشرعية، (المشتني، 1986م، ص34)، وفي هذا السياق ذكر لطفي عبد البديع: أنَّ الأندلسيين اعتنوا بلغة الأدب منذ عصر مبكّر، حيث علَّموا أبناءهم العربية الفصحى لنقل الملكات الأدبية، متمسكين بالتقاليد العربية القديمة (عبد البديع، 1969م، ص37).

1- الأدب والشعر:

أول ما يُلاحظ على الحياة الأدبية لتلك الفترة من تاريخ الأندلس ظهور أول جيل من الأدباء الأندلسيين (هيكل، 1994م، ص80)، ولمَّا كان الأمير عبد الرحمن الثاني أديباً عالماً، فقد حظى الأدب

بمكانه عالية، وانعكس ذلك في اهتمامه بالأدباء والشعراء، حيث عمل الأمير عبد الرحمن الثاني على منح العلماء والأدباء الأندلسيين أو الوافدين على الأندلس كلَّ الرعاية والحماية والمساعدة، ولعلَّ أبرز الأدباء والشعراء الذين ظهروا في عصره عبد بن الشمر، الذي "كانت له عناية بالعلم، وله رحلة، وكان شاعرًا جيد الشعر" (ابن الفرضي، 2008م، ص188- 189)، وقد حظيَ بعطف الأمير ومحبته، وذكر عن حياته: "إنه كان نسيج وحده مجموعاً له من الخصال النبيلة ما فرق في عمره من جميع التعاليم والأدب والشعر والنثر" (نعنعي، 1986م، ص245).

ولعل التأثير الحضاري المشرقي ساهم في تطوير حضارة العرب في الأندلس من خلال دخول المعاجم المصنَّفة من المشرق إلى الأندلس، كما فعل الشاعر فرج بن سلام، وهو من أهل قرطبة يكنى بأبي بكر، كان معنيًّا بالأخبار والأشعار والأدب، رحل إلى المشرق، فلقي عمرو بن بحر الجاحظ، وأخذ منه كتاب البيان والتبيين، وغير ذلك من مكتوباته، وأدخلها رواية عنه (ابن الفرضي، 2008م، ص350)، وكذلك كتاب العين، وكتاب العَروض للخليل بن أحمد الفراهيدي (بدر، 1972م، ص180، 184)، وقد أهداه تاجر للأمير عبد الرحمن الثاني، وقد صعب فهمه لدى رجال البلاط ففسَّره عباس بن فرناس، الذي يُعدُّ "نجمًا في عصره"، وقد وُصف بأنه حكيم الأندلس، وهو أول من فك كتاب العروض للخليل الفراهيدي، (ابن سعيد، 1964م، 333/1).

أما الشعر فقد لقيَ عندهم حظًّا عظيمًا، والشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف (المقري، 1998م، 222/1).

ومن أشهر الشعراء في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، زرياب، وعبيد الله بن قرلمان، وعبد الله بن الشمر، وعباس بن ناصح (الصوفي، 1980م، 219/2)، ويحيى بن الحكم المعروف بالغزَال، واسمه يحيى بن الحكم، ويلقب بالغزال لوسامته وظرفه، وأصله من جيَّان، ونسب إلى أسرة تنتمي إلى بكر بن وائل، وقد ولد الغزال سنة 156هـ (هيكل، 1994م، ص152).

وقد برز الشاعر الأندلس الغزال كشاعر رفيق ينادم الملوك والأمراء، وقد أدرك خمسة من أمراء الدولة المروانية بالأندلس وهم: عبدالرحمن بن معاوية الملقب بالداخل (ت 172هـ)، وهشام بن عبد الرحمن (ت 180هـ)، والحكم بن هشام (ت 206هـ)، وعبد الرحمن الأوسط (ت 238هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن (ت 273هـ)، (الغزال، 1993م، ص6-7)، أما عن شخصية الغزال، فقد كان لها تأثير كبير على الحركة الشعرية في عصر عبد الرحمن الثاني، فهو شاعرٌ فنانٌ متميزٌ، يعبر عن عواطفه من خلال قصائده، وكان أسلوبُهُ الشعري سهلًا ومباشرًا، وكانت حياته مدرسة أندلسية متميزة في عالم الشعر، كثُر اتباعُ سماتِها الشعرية في زمنه وبعده، فكان الأمير عبد الرحمن الثاني يحبه ويقدره، ويروج لشعره وأدبه؛ حتى إنه اعتبره مناسبًا ليكون سفيرًا له عند الملوك، (المقري، 1998م، 380/2- 386).

ومن الشعراء أيضاً، عباس بن فرناس، وهو مولى بني أمية ويعود أصله إلى برابر تاكرنا، وقد اشتهر في نظم الشعر إلى الدرجة التي جعلته شاعر بلاط متميز لدى ثلاثة من أمراء بني أمية في الأندلس هم على التوالي: الحكم الربضي، وعبد الرحمن الأوسط، وابنه الأمير محمد (ابن سعيد، 1964م، 1333).

أ- علي بن نافع "زرياب" شاعر وموسيقار الأندلس:

ذكرنا سابقاً عن دور زرياب وتأثيره في المجتمع الأندلسي، وللأهمية في الشعر فإنه يعدُّ من الشعراء الذين تميزوا في الإمارة الأندلسية في عهد الأمير عبد الرحمن.

عمل زرياب على إنشاء مدرسة لتعليم الموسيقى والغناء، واستطاع بسرعة أنْ يحمل للموسيقى الأندلسية طابعاً مميزًا، وأنْ يخلصها من التقاليد المدنية التي دخلت إلى الأندلس (هيكل، 1994م، ص121)، ويعدُّ زرياب أول من وضع حجر الأساس للمدرسة الموسيقية الأندلسية التي هي من أرقى مدارس الموسيقى الشرقية، والتي ما زال تأثيرها ماثلًا حتى يومنا هذا (المقري، 1998م، 3/381- 391).

ثالثاً/ العلوم الإنسانية والتطبيقية:

اهتمَّ الأمير عبد الرحمن الثاني بالعلوم الإنسانية والتطبيقية، فظهرت عدة علوم وعلماء تميزوا في فترة حكمه، وكان أول هذه العلوم، علم الفلسفة، وعلم التاريخ، بالإضافة للعلوم التطبيقية، والتي منها علم الفلك والكيمياء وعلم الطب.

1- علم الفلسفة:

يُعرف علم الفلسفة بأنه العلم والمعرفة والتأمل والتفكير، ويقوم على البحث عن الحقائق وتحليلها وتفسيرها، ويظهر أنَّ نشأة الفلسفة في الأندلس كانت مشابهةً لنشأتها في المشرق، فقد نشأت في المشرق من الاشتغال بالطب والتنجيم، وكانت هذه العلوم محطَّ اهتمام الأندلسيين في العصر الأموي (دويدار، 1994م، ص438)، وعلى الرغم من ذلك لم يكن للأندلسيين حظٌ كبيرٌ من الفلسفة في تلك الفترة، حيث كان اهتمامهم منصرفًا إلى العلوم الدينية واللغوية من جهة، والطب والهندسة والفلك من جهة أخرى، (سالم، د.ت، ص216)، وكان الفلاسفة في الأندلس يواجهون تحديات؛ حيث كان يُطلق عليهم ألقابًا مثل "زنديق" إذا اهتموا بالفلسفة أو التنجيم، وكثيرًا ما كانوا يواجهون الاضطهاد يصل إلى درجة حرقِ كتبِهم، (المقري، 1998م، 1/181).

استمرت الفلسفة في الأندلس تحت كنف حكام متنورين، حيث شجعوا على اقتناء الكتب الفلسفية، وأسسوا مكتبات ضخمة للمعرفة العقلية، ومن أشهر علماء التنجيم عبد الله بن الشّمر بن نمير القرطبي، الذي كان وحده مجموعاً له من الخصال النبيلة، ما فرط في عمره من جمع التعليم والأدب والشعر والنثر، وكان

عبد الرحمن قيد السلطنة أيام والده الحكم، ولما صار الأمر إليه، ظل وفيًّا له ونادمه (ابن سعيد، 1964م، 124/1).

2- علم التاريخ:

لم يظهر علم التاريخ في الأندلس منفصلاً عن جذوره التي نشأ فيها، وتطور منها في المشرق، وقد ارتبط علم التاريخ بالحديث، حيث كان العلماء يسعون للتحقق من صحة الأحاديث ومعرفة مروياته، وهذا الاهتمام أدَّى بهم إلى دراسة تراجم الرواة ومعرفة سيرهم، وكان أول مؤرخي الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن هو عبد الملك بن حبيب، الذي درس في ألبيرة وقرطبة، ثم سافر إلى المشرق وحضر حلقات الدرس في مدنه، خاصة المدينة المنورة، تم عاد بعد ذلك إلى بلاده، وأصبح مشهورًا حتى لُقب بعالم الأندلس، (هيكل، 1994م، ص125)، وهو أول من كتب تاريخ بلده (ابن الفرضي، 2008م، ص269-272؛ المقري، 1998م، 184/2- 186)، كما عمد إلى تصنيف كتاب في التاريخ مشابه لكتاب الطبري، ولم يبق من كتبه إلا كتابه المسمى: "التاريخ" وهو لا يزال مخطوطًا في كنيسة إكسفورد (هيكل، 1994م، ص125).

3- علم الفلك والكيمياء:

اهتمَّ علماءُ الأندلس بعلم الفلك، وقد كان الاهتمام بهذا العلم في وقت مبكر، ومن علماء الأندلس في مجال الفلك عباس بن فرناس الملقَّب بأبي القاسم، فقد كان عالمًا مرموقًا ملمًّا بعدد من المعارف والعلوم على طريقه عصره؛ مما أكسبه لقب (حكيم الأندلس)، وهو من أوائل الذين اشتغلوا باستخراج العلوم في الأندلس، وقد عمل العامل العربي في مجال الفلك، فصنع الآلة المعروفة (بالمنقالة أو النقالة) ليعرف الأوقات بطريقة لم يعرفها أحدٌ قبله (الصوفي، 1980م، 219/2).

اشتهر عباس بن فرناس، بدراسته للطيران، حيث قضى وقتًا طويلاً يدرس تركيب جسم الطير وكيفية طيرانه في الهواء، ثم قرر أنه قادر على الطيران، فقام بتجربة غريبة، حيث قلَّد الطير وكسا نفسه بالريش وصنع جناحين ليطير بهما، وقد نجحت التجربة في البداية، وارتفع عباس بن فرناس عن الأرض، لكنه للأسف لم يكن لديه وسيلة للتحكم في الجاذبية، فسقط من ارتفاعه، وبالإضافة إلى اهتمامه بالطيران، كان مهتمًّا أيضًا بعلم الفلك، (الصوفي، 1980م، 220/2)، وهما علمان مرتبطان ببعضهما، حيث صنع هيكلاً للأجرام السماوية في إحدى حجرات منزله، مكَّنه من رؤية النجوم والغيوم والبروق والرعود من خلاله، (المقري، 1998م، 177/4)، كما برع عباس بن فرناس في ميدان الكيمياء، وانتهت تجاربه في هذا الميدان إلى تطوير صناعة الزجاج من الرمال والحجارة، ويدعى (quarts) الذي عرفه الساسانيون والروم (ابن سعيد، 1964م، 333/1؛ المقري، 1998م، 177/4).

4- علم الطب:

علم الطب في الأندلس: كان يعاني من قلة الدراية والمعرفة في عصر الإمارة، حيث كان الأندلسيون يعتمدون في دراستهم على كتب مترجمة من الكتب القديمة، ومن بين هذه الكتب، كتاب يعرف باسم "الأبرشم" ومعناه "المجموع" أو "الجامع" (ابن جلجل، 1955م، ص92)، وعلى الرغم من قلة المصادر الأصلية، فإنهم استطاعوا تطوير مجال الطب وتقديم إسهامات مهمة في تطوير هذا العلم.

الخاتمة:

ومما سبق خلصت الدراسة إلى النتائج الآتـيـة:

- تشكَّلت الحياة العلمية في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني من تمازج وتلاقح ثقافات وموروثات مختلفة، مما هبَّ عليها في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي من رياح حضارة شامية أولاً ثم حجازية مدنية ثانيًا، يُضاف عليها تأثيرات الأرض والبيئة، ومافيها من ميراث روماني وقوطي، لنصل إلى ما نسميه طلائع نهضة حضارية أندلسية.
- كان لنشأة الأمير عبد الرحمن الثاني نشأة علمية منذ صغره، أثرٌ كبيرٌ على شخصيته، مما انعكست عليه عند توليه الإمارة، ونتيجة لذلك، ونظرًا لمشاركته الحكمَ في حياة أبيه، فقد تمتع بحنكة سياسية، ومعرفة بأمور السياسة، مما يدلُّ على أنه رجلٌ يتميز بعقلية منفتحة وواعية أهَّلته أنْ يختاره أبوه أميراً بعد وفاته.
- عمل الأمير عبد الرحمن الثاني على استقرار الوضع السياسي، واستتباب الأمن، مما أثَّر على تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي انعكست بدورها على النواحي العلمية والثقافة في الأندلس.
- كان لسياسة التسامح والانفتاح التي اتَّبعها الأمير عبد الرحمن مع المشرق الإسلامي (بغداد)، والعالم الخارجي (دول الجوار)، انعكاسٌ إيجابيٌّ على كافة جوانب الحياة، وبخاصة الحياة الثقافية.
- نتيجة اختلاط سكان الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني من فئات مختلفة: كالعرب، والبربر، والمولدين، والمسالمة، واليهود، وتمتع كل هذه الفئات بثقافات مختلفة، مما جعل الأندلس في عصره مزيجًا متنوعًا ومختلطًا من ثقافات مختلفة.
- كان الأميرُ عبد الرحمن الثاني محبًّا للعلماء والأدباء، ما جعل بلاطه منزلًا للعلماء والوافدين إلى بلاده من مختلف أقطار المشرق الإسلامي، مرحبًا بهم، ما جعل إمارته منارةً للعلم في تلك الفترة.

- كان للعلماء أثرٌ كبيرٌ في الحياة الاجتماعية في الأندلس مثل: زرياب الذي أدخل العادات الجديدة، التي تعد ثورة جديدة في الحياة الاجتماعية.
- استطاع الأمير عبد الرحمن الثاني بفضل اهتمامه بالحياة الثقافية أنْ يخرج بمجموعة من العلماء برزوا في ميادين مختلفة في كافة العلوم، يرجع إليهم الفضل فيما وصلنا إليه من العلم الآن.

المصادر والمراجع:

- ابن أبي أصيبعة ،موفق الدين أبي العباس أحمد. (1882م). *عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط1.* د.م: المطبعة الوهبية.
- ابن الآبار، عبد الله بن أبي بكر القضاعي (595- 608هـ). (1985م). *الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط 2.* القاهرة: دار المعارف.
- ابن الخطيب، لسان الدين الطيب السليماني (ت776هـ). (1956م). *أعمال الأعلام تحقيق: أ. ليفى بروفنسال ط.2.* بيروت: دار المكشوف.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله ن محمد بن يوسف الأزدي (ت403هـ). (2008م). *ابن القرضي تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأيباري، ط.2.* القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن جلجل، أبي داود سليمان ا بن حسان الأندلس (ت 377هـ). (1955م). *طبقات الأطباء والحكماء تحقيق: فؤاد رشيد.* القاهرة: دار الكتب المصرية.
- ابن حيان، حيان بن خلف بن حيان الأندلسي. (1994م). *المقتبس من أنباء أهل الأندلس تحقيق: محمود على مكي.* القاهرة: د.ن.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ). (1998م). *مقدمة بن خلدون.* بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ). (1964م). *المغرب في حلى المغرب: تحقيق: شوقي ضيف ط2.* القاهرة: دار المعراف.
- ابن سعيد، علي بن موسى. (1964م). *المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط 2.* القاهرة: دار المعارف.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (283هـ). (1953م). *العقد الفريد، تحقيق، محمد سعيد العريان، د.م.* د.م: المكتبية التجارية الكبرى.
- ابن عذاري، أحمد ابن محمد أبو عبد الله المراكشي (697هـ). (1983م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان، إليفي بروفسال، ط 3.* بيروت: دار الثقافة.

- ابن مخلوف، محمد بن محمد (ت 1360هـ). (1932م). *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*. القاهرة: المصنفة السلفية.
- بدر، أحمد. (1972م). *دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ط 2*. دمشق: د.ن.
- بيضون، إبراهيم. (1980م). *الدوله العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة*. بيروت: دار النهضة العربية.
- التليسي، بشير رمضان. (2003م). *"الاتجاهات الثقافة في العرب خلال القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي"، ط1*. بيروت: دار المدار الإسلامي.
- الحجي، عبد الرحمن علي. (1981م). *التاريخ الأندلسي:من الفتح حتى سقوط غرناطة" 92- 897هـ(711-1492م)، ط2*. بيروت: دار القلم.
- الحميدي، أبي عبدالله محمد بن أبي نصر (ت488هـ). (1966م). *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس*. د.م: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت آواخر ق 9هـ/ 15م). (1975م). *الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس*. بيروت: دار القلم للطباعة.
- خزعل، ياسين مصطفى. (2004م). *بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة (138هـ-466هـ / 755-1030م)*. د.ن: منشور رسالة جامعية.
- دويدار، حسين يوسف. (1994م). *المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، (138هـ - 422هـ / 755م - 1030م)، ط 1*. الاسكندرية: مطبعة الحسين الإسلامية الاسكندرية.
- سالم، السيد عبد العزيز. (1961م). *تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس*. بيروت: دار المعارف.
- سالم، السيد عبد العزيز. (1985م). *في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس*. الاسكندرية: مؤسة الشباب الجامعة الاسكندرية.
- سالم، السيد عبد العزيز. (د.ت). *قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس*. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعية الاسكندرية.
- السرجاني، راغب. (2011م). *قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط*. القاهرة: مؤسسة أقرأ.
- شبارو، عصام محمد. (د.ت). *الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ط 1*. بيروت: دار النهضة العربية.
- الصوفي، خالد. (1980م). *تاريخ العرب في الأندلس "عصر الإمارة" ط2*. بنغازي: منشورات جامعة فاريونس.

- طقوش، محمد سهيل. (2010م). *تاريخ المسلمين في الأندلس، ط 3*. بيروت: دار النفائس.
- طه، عبد الواحد دنون وآخرون. (2000م). *تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط 1*. بنغازي: درا الكتب الوطنية.
- العبادي، أحمد مختار. (د.ت). *تاريخ المغرب والأندلس*. الاسكندرية: مؤسسة للثقافة الجامعية.
- عبد البديع، لطفي. (1969م). *الإسلام في إسبانيا، ط2*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- عنان، محمد عبد الله. (1997م). *الإثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ط.2*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الغزال، يحيى بن حكم. (1993م). *ديوان يحيى بن حكم الغزال تحقيق: محمد رضوان الداية ط1*. دمشق: دار الفكر.
- المشتتي، مصطفى إبراهيم. (1986م). *مدرسة التفسير في الأندلس، ط 1*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- المقري، أحمد بن المقري التلمساني (ت1041هـ). (1998م). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق: حسان عباس*. بيروت: دار الفكر.
- مؤلف مجهول. (1983م). *ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا*. مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مدريد.
- مؤلف مجهول. (د.ت). *أخبار المجموعة*. بغداد: مكتبة المثنى.
- نعنعي، عبد المجيد. (1986م). *تاريخ الدولة الأموية في الأندلس "تاريخ سياسي"*. بيروت: دار النهضة العربية.
- هيكل، حمد. (1994م). *الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط11*. القاهرة: دار المعارف.
- ياسين، معالي مجمد علي. (2017م). *الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية وعلاقاتها مع بلاد المغرب والمشرق (138- 316هـ/ 756- 928م)، رسالة علمية (الماجستير)*. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية نابلس.

The scientific life during the Umayyad era in Al-Andalus, exemplified by the reign of Prince Abd al-Rahman II (206-238 H / 822-852 M)

Prepared by: Dr. Fathia Muhammad Al-Wadani
f.elweddani@art.misuratau.edu.ly

Abstract

The study aims to explore the cultural, artistic, and scientific developments that occurred in Al-Andalus during the reign of Prince Abd al-Rahman II (206-238H/822- 852m). It seeks to highlight his role in cultural life, assess the impact of culture on various aspects of Muslim life in Al-Andalus, understand the level of progress and diversity, and examine how Al-Andalus, under his rule, became a center for coexistence among different cultures and religions. The study also investigates his cultural achievements, which contributed to the development of Al-Andalus and established it as a hub for knowledge and art during that era.

The research problem revolves around the golden age of the Umayyad state during Abd al-Rahman II's reign, particularly in cultural aspects. To address this problem, several questions need to be answered: Who was Abd al-Rahman II? What were the influential factors in cultural life? What were the significant cultural centers and their intellectual contributions? The study adopts a historical narrative approach, relying on primary and scholarly sources, and employs analytical methods as needed to achieve its objectives and draw conclusions.

Based on that, the most important results were as follows: the emergence of new civilizational features carried by the conquerors—Arabs and Berbers—in a Gothic European environment. Through this, they worked to spread Islam and the Arabic language, support knowledge, and encourage literature. They were able to sow the seeds of Arab-Islamic culture in Al-Andalus, which flourished and reached its peak during the reign of Abd al-Rahman II (the Middle).

***Keywords**: Abd al-Rahman II, cultural life, Umayyad state in Al-Andalus.*